

الفصل الثامن

الشيخ طنطاوى في كتب المؤرخين وآثار الدارسين

كان لبعض العلماء والكتاب والدارسين في مصر والهند وباكستان وإيران وغيرها من بلاد أخرى - عناية كبيرة بالشيخ طنطاوى جوهرى وآثاره ، يجب أن تذكر ، فتشكر .
هذا عدا دراسات المستشرقين التي أفردنا لها فصلاً خاصاً .
ونورد فيما يلي أسماء الذين اتجهوا لدراسة شيخنا العظم وبدلوا جهداً مشكوراً سواء في التعريف به ، أو دراسة آثاره ، أو الكتابة عنه :

١ - الدكتور محمد حسين الذهبي ، وزير الأوقاف وشئون الأزهر سابقاً . في كتابه « التفسير والمفسرون » وهو بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوره ، وألوانه ومذاهبه ، مع عرض شامل لأشهر المفسرين . وتحليل كامل لأهم كتب التفسير ، من عصر النبي ﷺ إلى عصرنا الحاضر . وفي الجزء الثالث من هذا الكتاب أفرد المؤلف فصلاً كاملاً طويلاً أتى فيه بالدوافع التي حملت الشيخ (طنطاوى) على كتابة تفسير « الجواهر » ، ومتى وكيف شرع في كتابة هذا التفسير وغرض المؤلف من تفسيره ، ومسلك المؤلف من تفسيره ، وطريقة المؤلف في هذا التفسير ، ونماذج من هذا التفسير؟
وختم الدكتور الذهبي دراسته في تفسير « الجواهر » بقوله :

« هذا هو تفسير الجواهر ، وهذه نماذج منه وضعتها أمام القارئ ، ليقف على مقدار تسلط هذه النزعة التفسيرية على قلم مؤلفه وقلبه . . والكتاب - كما ترى - موسوعة علمية ضربت في كل فن من فنون العلم بسهم وافر ، مما جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الفخر الرازي ، فقبل عنه :

« فيه كل شيء إلا التفسير » ، بل هو أحق من تفسير الفخر بهذا الوصف وأولى به ، وإذا دلّ الكتاب على شيء فهو أن المؤلف رحمه الله كان كثيراً ما يسبح في ملكوت السموات والأرض بفكره ، ويطوّف في نواح شتى من العلم بعقله وقلبه ، ليجلى للناس آيات الله في الآفاق وأنفسهم ، ثم ليظهر لهم بعد هذا كله أن القرآن قد جاء متضمناً لكل ما جاء ويحيى به الإنسان من علوم ونظريات ، ولكل ما اشتمل عليه الكون من دلائل وأحداث تحقيقاً لقول الله تعالى في كتابه : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ولكن هذا خروج بالقرآن عن قصده ، وانحراف به عن هدفه ، وقد عرفت رأينا في المسألة فلا نعيده » (١) .

٢ - الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية في كتابه : « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » أبرز الدور الذي قام به الشيخ طنطاوى في مكافحة الكفر والإلحاد بأنه « قد سلك إلى ذلك طريق العلوم الحديثة : من رياضة وفلك ونبات وحيوان وطبيعة وكيمياء وكل ما اكتشفه العقل البشرى ، ودعا المسلمين إلى تعلم هذه العلوم موقناً أن ذلك هو أقوى السبل وأقومها إلى إدراك إعجاز القرآن ومعرفته حق المعرفة ، ورد الزائفين إلى هديه الذي لم يقدره حق قدره والذي صرفتهم عنه هذه العلوم الحديثة نفسها ، فهي خليفة أن تردهم إليه اليوم ، كما صرفتهم عنه بالأمس » (٢) .

ويقول في موضع آخر من الكتاب : « وقد كانت ثقة الشيخ طنطاوى كبيرة بنهضة المسلمين واستعادتهم مجده : عمارتهم الأرض ، وإصلاحهم ما آل إليه أمرها من فساد واضطراب . وكانت هذه الفكرة تنزل من نفسه منزلة اليقين الذي لا يجامره فيه شك . وقد لازمته منذ فجر حياته العلمية إلى نهايتها ، يجدها القارئ ماثورة في ثنايا كتبه جميعاً » (٣) وقد استغرق ما كتبه عن الشيخ طنطاوى في هذا الكتاب عشر صفحات من الحجم الكبير .

٣ - الأستاذ مصطفى محمد الحديدى الطير عضو لجنة تنسيق التفسير الوسيط بجمع البحوث الإسلامية في كتابه « اتجاه التفسير في العصر الحديث » بسلسلة البحوث الإسلامية - أفرد فصلاً خاصاً بتفسير « الجواهر » قال في مسهله :

« . . . وقد عرفت الشيخ (طنطاوى) شخصياً ، فوجدت له ديناً قيماً وقلباً نقياً وحباً لدينه عارماً ، ووجدت فيه الرغبة القوية في توجيه المسلمين إلى الإيمان الراسخ بالله تعالى بالنظر في ملكوته

(١) « التفسير والمفسرون » ص ١٨٣ ج ٣ - ١٩٦٢ م .

(٢) ص ٣١٠/٣١٢ الجزء الثانى طبعة ١٩٥٦ .

(٣) ص ٣١٥ .

وآثار نعمته ورحمته ، ولقد كان هذا الشيخ ، رحمه الله ، مغرماً بتفسير القرآن الكريم على نمط علمي اختطه لنفسه ، لم يسبقه إلى مثله ولم يقلده فيه أحد . وكان تفسيره على هذا النمط مقصوراً على طلبته بدار العلوم أيام تدريسه لهم ، ثم بدا له أن يتم تفسيره على هذا النمط وينشره بين الناس راجياً أن يفهموا به العلوم الكونية ، وأن يكون داعياً للثبات الموحدين إلى درس العوالم العلوية والسفلية « وفي رسالة منشورة في مجلة « عالم الروح » بالعدد السادس بتاريخ شهر أبريل ١٩٥٦ جاء فيها : « حضرة الأستاذ العلامة العالم الروحي الأكبر السيد أحمد فهمي أبو الخير مؤسس المدرسة الروحية الأولى بمصر .

« السلام عليكم ورحمة الله ، أما بعد فقد قرأت في عدد (عالم الروح) الخامس من السنة التاسعة مقالكم الجليل في المغفور له العلامة الشيخ طنطاوي جوهرى مؤلف كتاب « الأرواح » والرائد الروحي الأول بمصر ، وفي هذا المقال أعطيتم الرجل حقه ووفيتموه مجده ، وأدخلتم السرور على أحبائه وأحبابكم ، حيث ذكرتم أنه يحضر جلساتكم الروحية ، وأنكم والوسطاء رأيتموه رأى العين وأنه حضر جلسة الاثنين ٢٧/١/١٩٤١ ، وأنه كان يتعلم استخدام جهاز الإشعاعات الكونية ، وذكرتم أن الوسطاء رأوا الجهاز في يديه ، وبهذا الجهاز يكشف العلة ويعالج المريض ، فاستولت على نفسي هذه الأنباء فأكبرتها وأكبرت ناشرها وترحمت على مصدرها .

« وبهذه المناسبة أكتب إليكم طرفاً مما عرفته عن الأستاذ « جوهرى » في آخر حياته ، ومنه تبدو ناحية يجهلها الناس عنه ، لأنه كان لا يحب الإعلان عن نفسه : ففي عام ١٩٣٦ جاءه ستة من طلاب الجامعة المصرية مع نجله الضابط المهام جمال ، وكان وقتئذ طالباً ، وكان هؤلاء الطلاب يريدون التحدث مع الشيخ في العقيدة الإسلامية رغبة في دعمها ، فدعاني الشيخ ودعا معي عالماً آخر انتقل إلى الملأ الأعلى رحمه الله ، وكان الغرض من دعوتنا التحدث مع هؤلاء الطلاب في حرية تامة حتى يصلوا من دينهم إلى ما يحبون مما يدعمه البرهان .

وانتهى الاجتماع (بنتائج) سارة مع هؤلاء الطلاب أدت إلى أنهم جاءونا في مثل تلك الليلة بإخوان لهم للغرض ذاته ، فنشأ درس الثلاثاء لهؤلاء الطلاب ، وقد أتى هذا الدرس على مدى الأيام ثمرات جنية فيهم وفي غيرهم ، حتى وجد في الجامعة رعييل إسلامي عظيم منه اليوم أساتذة في الجامعات وفي المعاهد العلمية المختلفة وموظفون في مصالح الدولة .

وقد أصيب الشيخ في آخر حياته بأمراض مختلفة لم ينفعه معها علاج الأطباء لتقدمه في السن ، فرأى برأيه الثاقب أن خير علاج لأمراضه أن يأكل طعامه كما خلقه الله دون أن يطهى بالوقود ، فكان يشرب لبن الضرع دون أن يغلى ، ويأكل الفواكه والخضراوات نيئة ، وقد شفى بذلك من كل

أمراضه ، وهذه المعلومات حدثني بها حين كنا في حفلة لتكريم السيد عزمي القطان محافظ المدينة المنورة وقتئذ ، وذلك أنني رأيته يعفّ عن الشاي واللبن والحلوى ، ويقتصر على تناول الفاكهة ، فلما سألته عن سرّ ذلك أخبرني بأمره الذي أسلفته ، وكان حلوه الحديث ، جميع الفكر ، واسع الأفق ، طيب النفس ، كريم الأخلاق .

وكان بيته كعبة لعلماء إيران ، وكان أهم ما يعنى به سفير دولتهم بعد تعيينه بمصر أن يزور منزل السيد طنطاوى جوهرى صاحب تفسير الجواهر الذى له في بلادهم شهرة واسعة النطاق ليرى البحر الطامى ويسمع هديره شخصيا .

رحم الله الراحل الثاوى ، وسما بروحه إلى ملاء الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا ، وجزاكم عن إحيائكم لذكراه بهذا الفيض من الكشوف العجيبة أحسن الجزاء . والسلام عليكم ورحمة الله .

مصطفى محمد الطير

أستاذ بالأزهر

٤ - المرحوم الأستاذ الشاعر على الجمبلاطى ، المستشار للغة العربية في وزارة التربية والتعليم بمصر ، وقد ألف كتابا بعنوان « ذكرى طنطاوى جوهرى » في سلسلة « اخترنا للطالب » (صدر في ٧ فبراير سنة ١٩٦٢) . وكان غرضه من تأليف هذا الكتيب الصغير في حجمه الغزير في مادته وقيمه أن يقدم للنشء من أبناء هذا الجيل « سيرة فيلسوف الإسلام في العصر الحديث » الذى لم تشهر في الشرق شخصية من المصريين كما اشهر ، وقد قرظ تواليفه فلاسفة الأمم الناهضة : فرنسا وإنجلترا وألمانيا وإيطاليا ، ذلك العالم الدينى الإسلامى الوطنى ، والعالم الاجتماعى العالمى ، المغفور له الشيخ طنطاوى جوهرى » (١)

وللأستاذ الجمبلاطى أيضا مقال قيم بعنوان « أين الإنسان وجائزة نوبل ؟ » بجريدة أخبار اليوم بتاريخ ٧ فبراير ١٩٦٩ .

٥ - الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب

في كتابه : « اتجاهات التفسير في العصر الحديث » (٢) أفرد الفصل الثالث منه عن الاتجاه العلمى في تفسير القرآن ، وذكر طائفة من المفسرين الذين سلكوا هذا النهج من التفسير ، ومنهم الشيخ طنطاوى جوهرى . .

(١) ص ٦ و ٧ .

(٢) الطبعة الأولى بيروت ١٩٧٣ .

يقول الدكتور المحتسب في سياق حديثه عن الشيخ طنطاوى :

« وسمي طنطاوى جوهرى تفسيره « الجواهر في تفسير القرآن الكريم » لأنه جعل الجوهرة بدل الباب أو الفصل ، والجواهر تتفرع عنها الماسة الأولى والماسة الثانية وهكذا .
« وطريقته في تفسير القرآن أن يبدأ بالتفسير اللفظى للآيات التى يعرض لها ، ثم يتلوه بالشروح والإيضاحات والكشف ، أى أنه يشرع متوسعاً فى الفنون العصرية المتنوعة » (١)

٦ - الدكتور على عبد الجليل راضى الأستاذ بكلية العلوم جامعة عين شمس ، كتب مقالاً فى مجلة « عالم الروح » (العدد الثالث السنة الثانية عشرة بتاريخ يناير سنة ١٩٥٩). آرخ فيه للشيخ طنطاوى ثم قال : « ولقد بز جميع مماثليه فى الذكاء وصفاء الروح مما جعله يتسم بمكارم الأخلاق وفيض المعلومات وعلى الصفات ، وكانت الحقبة الأخيرة من حياته أبرز الحقبات ، فقد شاءت نفسه المتواضعة أن يتلمذ على أيدى تلاميذه من طلبة الجامعة فى تعلم اللغات الأجنبية والعلوم الحديثة المختلفة من طبيعة وفلك وبيولوجيا وكيمياء إلى غير ذلك .

« ولقد أسعدنى الحظ فى أن أتعرف عليه وأنا طالب بالجامعة إذ دعانى لزيارته زميل عزيز هو الدكتور محمد جمال الدين الفندى أستاذ الأرصاد الجوية فى جامعة القاهرة الآن ، وكنا نصحبه مع فرقة من الزملاء الطلبة إلى ندواته أو إلى مسجد السيدة زينب لأداء الصلاة .
« كانت أظهر صفة للشيخ هى التحرر الفكرى وعدم التعصب الأعمى والقابلية لتفهم الديانات والأجناس الأخرى والمساعدة على الأخذ بيد المتأخرين بالرفق والكلمة الطيبة » .
وبعد أن حلل بعض مؤلفاته ختم مقاله بقوله : « وقد عاش زاهداً صاعماً معظم أيامه حتى انتقل إلى جوار ربه »

٧ - الدكتور رءوف عبید وكيل كلية الحقوق بجامعة عين شمس فى موسوعته الضخمة « مفصل الإنسان روح لا جسد » كتب عن الشيخ طنطاوى تعريفاً جميلاً يليق بمكانته الكبيرة كرائد من رواد الروحية ومن أبرز أعضائها ، وكعالم مسلم مصرى لم ينصفه معاصروه ، وجاهلوا قدره ، بل حاربوه فى مكانته العلمية ، وكرجل دين من أصحاب التفاسير الدينية القيمة التى أهمها تفسير « الجواهر » وأنه قام بنفس الدور الذى قام به فى الخارج ذوو الأذهان المتفتحة عندما عرفوا كيف يربطون بين الآراء الدينية وبين حقائق العلم الروحى الحديث .

واستشهد الدكتور رءوف بكثير من آراء الشيخ طنطاوى فى مواضع مختلفة من كتابه الضخم الذى يقع فى ثلاثة أجزاء يحتوى كل منها على أكثر من ألف صفحة من الحجم الكبير .

٨ - الأستاذ محمد عبد الجواد : في العدد الماسي من « تقويم دار العلوم » الذي أصدره لمناسبة مرور ٧٥ عاماً على المدرسة في نحو ألف صفحة (١٨٧٢ - ١٩٤٧) ، كان موفقاً في تاريخ الشيخ طنطاوى كل التوفيق ، ويحسن بنا هنا أن نورد فيما يلي بعض مقتطفات من ترجمته المسهبة للشيخ طنطاوى :

« عرفته مدرساً بدار العلوم ، فإذا به في درسه كالطائر في قفص يحاول أن يرد نفسه إلى حدود المنهج الدراسي ، فلا يطاوعه علمه ، ولا يساعده تجربته . كان يقرر المسألة فيستشهد في شرحه بصغار الهوام والحشرات ، ثم يخلق بك في أجواء من عالم الفلك والسموات ، فلا يكاد ينتهي من درسه حتى تشعر كأنك قمت برحلة في طيارة شاهدت بها عالم السموات ، أو طفت بالبحار في باخرة شاهدت فيها عجائب البحار ، أو طوفت بالحقول فتأملت فيها غرائب النبات ، أو تنقلت بين السهول والجبال ، فأدركت عجائب الكائنات غير الناطقات . مع عبارة تسهويك ، وألفاظ لا تملها ، وأمثلة من المشاهدات تحسبها عادية تمر بك كل يوم فلا تلقى لها بالاً ، ثم يفرغ من ملاحظته ، فإذا بك تحسبها مسألة عويصة ، فيها من الدروس والحكم ما يستوقفك ، ويستوحيك الفكر والتأمل ، والملاحظة والتعليل ، فتعلم أنك تعيش في عالم كله دروس ، وكله مسائل علمية ، وكله يسترعى النظر ، وكله يتطلب التأمل والفحص . . هذا هو الشيخ طنطاوى في شرحه المسائل ، وفي تقديره الأبحاث العلمية ، أو تفسير الآيات القرآنية ، في دائرة الدرس المحدود المنهج ، المحدود الزمن ، المقيد بعدد من المستمعين »

٩ - الأستاذ عبد العزيز عطية (ناظر مدرسة المعلمين بالمنصورة ١٩١٨) - نُشرت له كلمة بالصفحة ١٩٦ من « تقويم دار العلوم » الذي تقدم ذكره - بعنوان « الشيخ طنطاوى جوهرى » نقلاً عن « المرأة » جاء فيها :

« عرفناه شيخاً بعد أن أروى من معين العربية ، وكوثر العلوم الشرعية ، والفقهاء الأكبر ، والمنطق والفلسفات القديمة وكثير من العلوم الأخرى ، حتى طار صيته في معمور الأرض ، وقصده المعجبون بفضل من نواحي العالم يستمعون لأرائه . وكان أكثر ميله متجهاً إلى الإصلاح الديني والاجتماعي ، وكان أكبر همه أن يذيع في العالم رسالة السلام عن طريق تعاليم الإسلام .

« وكثيراً ما جاهد وبدل من نفسه ووقته وعقله ، وكثيراً ما جادل غير المسلمين في الإسلام ممن زاروه من بلاد نائية ، ولقد كان حاضر الذهن ، واضح الحججة ، كثير الاستشهاد بالنصوص ، كثير الاطلاع ، أوتي من فصل المقال ما يعز على كثير من أهل اللسان والفتنة .

« وقد ترجم الكثير من كتبه ورسائله إلى لغات أوروبا ، وانتشرت في غربي آسيا وشرقي أوروبا

بخاصة لكثرة المسلمين هناك . ولقد عاش فقيراً ، ومات فقيراً ، إلا من ذكر حسن ، ونفع عام ، وإقرار بفضل . وحسبه أن يغنى بالذكر عن المال الذي لم يشأ أن يمسك ، وكانت حياته كلها كفاحاً حتى مات في ميدان الجهاد فلم يحس به إلا مجاهد تفقده فلم يجده ، ولقد كان مفخرة من مفاخر دار العلوم ، بل من مفاخر علماء الشرق سيضعه التاريخ في أول الصف .

« ولعل من تلاميذه من يحيون كحياة أستاذهم : ينهجون منهجه ، ويفرغون لمصلحة دينهم ووطنهم ، اللهم فأفرض عليه من رحمتك ورضوانك ما يرضيه وما ترضى به عنه » .

١٠ - الدكتور محمد رجب البيومي ، الأستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض ، والذي خدم اللغة العربية وآدابها أجل خدمة بما نشره من كتب كثيرة ومقالات غزيرة في كثير من المجالات . كتب عن الشيخ طنطاوى مقالين تحليليين بمجلة « الحجج » التي تصدر بالسعودية .

وكتب أيضاً مقالاً في مجلة « الأزهر » (الجزء العاشر) السنة الأربعون ، ذو الحجة ١٣٨٨

فبراير ١٩٦٩) مقالاً طويلاً بعنوان (عالم عربى معاصر يضع نظرية للسلام) جاء فيه :

« حين قام (جاجارين) رائد الفضاء الأول برحلته المثيرة أخذ يتحدث عما شاهده في الكواكب النازحة من غرائب وأعاجيب ، وقد طلعت بعض الصحف الإنجليزية على الناس ببعض أحاديثه مشفوعة بما تكهن به الكاتب الشهير (هـ . ج . ويلز) عن العوالم البعيدة ، ثم فسحت مجال المقارنة بين ماتخيله الكاتب الإنجليزي وماشاهده الرائد الروسى ، ومن العجيب أنها ذكرت في نهاية الموازنة أن عالماً عربياً كبيراً هو الشيخ طنطاوى جوهرى قد رحل إلى الكواكب رحلة خيالية كرحلة هـ . ج . ويلز ، وقد سجلها بدوره في كتابه العظيم « أين الإنسان ؟ » . .

« وقد غمرنى شعور الفرح والزهو لتوفيق عالم إسلامى إلى إبراز حقائق طبيعية وفلكية تضارع ما سجله أعلام الفكر الحديث في الغرب ، وهرعت من فورى إلى كتاب (أين الإنسان ؟) وأخذت أطلع روائعه المدهشة ، وأعجب لتساوق الأسلوب الأدبى مع الحقائق العلمية فى نسق فى جميل ، وأستمع مأخوذاً للكاتب حين يقول منذ نصف قرن أو يزيد :

« الأرض تجرى أمامى جرياً حثيثاً ، وهى تتلألاً جلالاً وحسناً لما يسطع عليها من نور الشمس ، وحجمها كبير ممتد ، الأرض تجرى بسرعة فى الفضاء كأنها قلة المدفع . إن قلة المدفع تجرى عشرة أميال فى الدقيقة ، والأرض تجرى قدرها مائة مرة حول الشمس لتتم حركتها السنوية . لعمر ك ل قد هالنى المنظر : حركات الأرض الثلاث تدور حول نفسها كهيئة النحلة فى لعبة الأطفال ، وهى بنفسها وهيتها مندفعة تجرى حول الشمس أسرع من القلة مائة مرة ، وهذا المجموع الشمسى مسخر مسكين كأنه أرض تجرى حول كوكب مجهول ، أدهشتنى الأنوار ، وغطت على عقلى عجائب الحركات ،

نظرت أسفل فإذا رحل تحيط به حلقاته الساطعة الجميلة ، وهو ، يجرى حول الشمس كأرضنا ، ولقد تعجبت من الأنوار الساطعة البديعة البهية الدائرة حول المريخ ، فهناك قران جميلان طالعان ، عجيب أمرهما وبهي نورهما . ولما رأيت أقمار المشتري زاد تعجبي وماكنت أظن في العالم أقماراً غير قرنا »

« وتمضى الرحلة على هذا النسق البديع ، فتحدثت عن زحل وأورانوس ونبتون وأكبروس وغيرها مما لا يحيط به غير المتخصصين من الأفاضل .
والمقال طويل نقف فيه إلى هذا الحد .

١١ - عطارد : بهذا التوقيع نشرت جريدة « الجمهورية » بتاريخ ٢٩ من يناير ١٩٥٦ مقالاً بعنوان « طنطاوى جوهرى العالم الروحى » هذا نصه :

« عنى الأب (جوم بيه) أحد رهبان الدومينكان منذ سنوات بدراسة حياة عالم مسلم مصرى لم ينصفه معاصروه وجهلوا قدره ، بل حاربوه فى مكانته العلمية مع أنه لا يقل مكانة عن الرازى والزخشرى وابن سينا وابن خلدون ، ذلك هو العلامة (طنطاوى جوهرى) الذى أدخل لأول مرة فى تاريخ البحث العلمى العربى - العلوم الحديثة فى تفسير القرآن الكريم .

« وقد حدثنى عنه صديقنا الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الشريعة بكلية الحقوق بعين شمس فقال لى منفعلأً : اكتب عن لسانى أنه يستحق من المجد أكثر مما يستحق الإمام محمد عبده لولأ أن زملاءه وإخوانه جهلوه ، وعجزوا عن نصرته عندما تقدمت الدوائر العلمية ترشحه لنيل جائزة (نوبل) كأول مصرى يُرشح لهذه الجائزة ، وكان ذلك منذ أكثر من عشرين عاماً .

« ومن المدهش أن العلامة « طنطاوى جوهرى » هو أحد خريجي دار العلوم ومن ذلك الرعيل المجاهد الذى خرجته هذه الدار . وقد ولد السيد طنطاوى طيب الله ثراه فى قرية (كفر عوض الله) إحدى قرى مديرية الشرقية ، وقد نشأ فى هذه القرية المجاورة لشاطئ النيل فأكسبت روحه هذا (الإشراق) الذى دفعه إلى التفكير والبحث فى ملكوت السماء والأرض .

« ولقد عاش السيد حياة متواضعة بعيدة عن المظاهر والغرور ، فقد كان يحمل فى أعماقه قلب العالم المتواضع الزاهد الذى لا يطمع فى غير رضوان الله ، فعكف على أبحاثه ودراساته فألف عدداً من الدراسات العلمية التى تعد فى نظر المفكرين الأوربيين اليوم من أمهات الأسانيد فى دراسة الخطوط العلمية العامة للقرآن . وهى مراجع (وحيدة) فى الجامعات الأوربية ، ولم تلق هذه الأبحاث منذ إبان تأليفها تقدير الدوائر الفكرية فى مصر التى كانت مشغولة بالصراع بين القديم ، والجديد ، والتى لفتها الأهواء السياسية حتى قضى السيد طنطاوى منذ سنوات ، ولم يذكره ذاكر ، ولم يعمل العاملون من

أناء دار العلوم على الاحتفال بآثاره وذكره ! »

١٢ - الأستاذ عبد المنعم البحقيرى : كتب مقالاً بعنوان « طنطاوى جوهرى » فى مجلة « الوعى الإسلامى » العدد ٥٢ السنة الخامسة بتاريخ ١٥ من يونية عام ١٩٦٩ - سرد فيه تاريخ حياة الشيخ طنطاوى وذكر آثاره التى خلفها ، وكيف أنه استطاع أن يقدم صورة لتعاليم الإسلام السمحة حيث إنه خاطب المجموع الإنسانى فى دعوته إلى السلام والمحبة ، وكيف أن الإسلام لم يؤيد العدوان مطلقاً ، بل أقره دفاعاً عن المقدسات والشرف والكرامة الإنسانية ، وقدم هذه المبادئ العظيمة فى كتابه : « أين الإنسان ؟ » و« أحلام فى السياسة »

١٣ - الأستاذ عبد اللطيف الدمياطى : فى كتابه « الوساطة الروحية » المطبوع فى عام ١٩٤٩ ، أفرد فصلاً خاصاً بالشيخ طنطاوى (ص ٥٧ - ٥٩) بدأه بموجز عن تاريخ حياته ثم أخذ يسرد الكثير عن حياته الروحية ، كيف بدأت ؟ وكيف حمل لواء الوساطة فى مصر بعد عبد الوهاب الشعرانى الصوفى الكبير ؟ وقال عنه فيما قال : « لقد أبعد الشيخ نفسه كل البعد عن الماديات وماله صلة بها ، فلم يشأ أن يتكسب من كتبه ، وإنما كان نشرها هو الغاية الأولى فى حياته ، أما ما يعود عليه من نفع مادى فلم يكن له أى أهمية عنده ابتغاء نشر الدعوة الروحية . كذلك لم يكن الشيخ ميالاً إلى الإعلان عن نفسه بهذه الطنطنة الجوفاء ، فكان يعتزل الناس لا يقابل منهم أحداً إلا من سعى إليه فى غرض علمى أو روحى ، وما عدا هذا فهو مختل بنفسه منصرف إلى ربه ، لا يعنيه من مظاهر الحياة البراقة وصورها الخادعة أى شىء ! »

« وقد عقل الشيخ : فالروحية الحق وحب التظاهر أمران يختلفان كل الاختلاف ، والرجل الذى رائده حقاً خدمة الروحية ، بل الذى وصل إلى مكانة تؤهله لهذه الخدمة - هو من لا يجفل بالطنطنة الجوفاء ، ولا ينشد الفخر الكاذب ، ولا يبغى العظمة الواهية ، ولم نجفل بهذا كله إذا كنا ندعو إلى الالتفات إلى عالم فيه خير من هذا كله ! »

١٤ - الأستاذ عبد العلم القبانى : فى كتابه « رواد الشعر السكندرى ، فى العصر الحديث » المنشور ضمن المكتبة الثقافية رقم ٢٨٢ - يقول :

« وكان العالم الفاضل الشيخ طنطاوى جوهرى - فى هذه الفترة - ^(١) يعمل مدرساً بمدرسة رأس التين الثانوية ، وكان الشيخ يلقن تلاميذه بعض الأفكار الثورية فى قصائد من نظمه ، وهذه مقطوعة مما كان ينظمه وقتئذ : نشرها بمجلة « جمعية الملاجئ العباسية » مجموعة سنة ١٩١٥ وتلاحظ الأبيات الثلاثة الأخيرة منها حيث يلمز الملوك فيها بالقول الغامز حيث يقول :

من الناس من تلقاه يعطف خدعة ولا يبذل المعروف إلا لظالم
 إلا إنما هذى السجايا مواهب وأوسعها في الخلق رحمة راحم
 ألم تر أن الأرض تهتز بهجة إذ ما كساها الحسن ودق الغمام
 وأن ليس موهوب بأوفر مغنماً من الواهب الآلاف عند العظام
 فقل لذوى النيجان فيها.. تبوءوا عروش قلوب، لا عروش القوائم
 فلا يغررن رب الأريكة ملكه ولا الجحفل الجرار وسط الملاحم
 لعمرك ما ذكر المليك ببطشه ولكن صدى صوت الندى والمكارم

١٥ - الأستاذ رجاء النقاش والكاتب والناقد المعروف : كتب مقالين في مجلة « المصور » المقال
 الأول بالعدد ٢٥٠٨ بتاريخ ٣ من نوفمبر ١٩٧٢ - بعنوان « القرآن والفكر الجديد ، تفسير للقرآن
 بالخرائط والصور » ، نشرنا جزءاً منه في الفصل الخاص « بمنهج الشيخ طنطاوى فى التفسير » نرجو
 الرجوع إليه .

والمقال الآخر بالعدد ٢٥١١ بتاريخ ٢٤ من نوفمبر ١٩٧٢ بعنوان « حول تفسير القرآن ، وأضواء
 جديدة على عالم كبير مجهول » جاء فيه :

« كتبت فى عدد سابق من المصور مقالاً تحدثت فيه عن العالم الكبير الشيخ طنطاوى جوهرى
 وتفسيره للقرآن الذى سماه « الجواهر » وهو التفسير الفريد الذى يقف متميزاً بمنهجه الخاص اللامع
 بين جميع تفاسير القرآن منذ نزول القرآن إلى اليوم .
 « وقد قلت فى مقالى : إن الشيخ « طنطاوى » هو أحد علماء الدين البارزين وواحد من
 المفكرين النابهين فى هذا العصر برغم أنه لم يحظ بما يستحق من الدراسة والاهتمام لا فى حياته ولا بعد
 وفاته .

« وقد وصلتني بعد كتابة هذا المقال رسالة من الأستاذ أحمد عطية الله يلقى فيها أضواء جديدة على
 هذا العالم الجليل والمفكر الكبير ، وأرجو أن تكون هذه المعلومات التى يقدمها الأستاذ أحمد عطية الله
 فى رسالته حافزاً جديداً للانتباه إلى قيمة هذا الفكر ودوره العظيم . وأن تكون حافزاً جديداً لإعادة
 نشر كتابه « الجواهر فى تفسير القرآن » حتى يقرب الجيل الجديد من القرآن من خلال هذا التفسير
 الذى يناسب القرن العشرين ، بل ما بعد القرن العشرين .

١٦ - الأستاذ أحمد عطية الله : لما كانت رسالته التى أشرنا إليها ضمن مقال الأستاذ رجاء طويلة
 لا يسمح المقام هنا بنشرها كاملة نحتزئ منها ما يلى :

« . . لم تكن الرياضيات والطبيعات غريبة عن طالب دار العلوم فى تلك الأيام ، إذ كان المنهج

يتضمن دراسة الحساب والهندسة والطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي والرسم تعويضاً عما فاتته من هذه الدراسات التي لم تكن معروفة في أروقة الأزهر حيث ينشأ طالب دار العلوم، ولا شك أن هذه العلوم كانت لها جاذبية بالنسبة لصاحب الترجمة، وقد وضع ذلك في تفسيره «الجواهر» بعد ذلك الذى يقرر في ثناياه مثلاً أن تعلم الكيمياء من الواجبات والفروض، بل امتد شغفه بالدراسات الطبيعية إلى العلم الطبيعي فقرأه مثلاً في عام ١٩٣٠ يرفع مذكرة إلى الحكومة المصرية في أثناء غارات الجراد التي اجتاحت البلاد يقترح فيها جمع الجراد وبيضه لاستخراج زيت يقول إنه أجود زيت يصلح للطائرات، ثم استخدام النفاية سماراً للماشية «تحت تأثير ما قرأه في بعض المجلات» داعماً مذكرته بالأعداد والأرقام عن حصيلة مشروعة، كما امتد شغفه من الرياضيات والطبيعات إلى الموسيقى باعتبار أنها من فروع الرياضيات. وكان يقول: إن الموسيقى المسموعة باب من أبواب الموسيقى العقلية، وأورد في تفسيره كثيراً من النوادر والحوادث الشخصية التي كانت الموسيقى حافظاً له فيها على ارتياد مواطن جديدة من النشاط الفكرى، بل إنه عزا توسعه في تفسيره وعنايته بتضمينه الكثير من حقائق العلوم الطبيعية إلى حادث من هذه الحوادث الفردية التي أدى فيها الفوتوغراف دوراً في تطوير أفكاره وشحذ عزيمته.

«عرفت الشيخ (طنطاوى جوهرى) في عام ١٩٣١ على إثر عودتى من البعثة بإنجلترا، التقينا في المطبعة الرحمانية بالخرنفس، وكانت من أنشط المطابع إنتاجاً في ذلك العهد وكنا نجتمع لمراجعة البروفات في كشك من خشب الصناديق مقام بقاء المطبعة، وكان ثالثنا أستاذاً بكلية الهندسة «عائداً من سويسرا» يطبع كتاباً له عن آلات الديزل على حين كنت أطبع كتابى «بساط علم النفس» والشيخ يراجع طبعة جديدة لأحد مؤلفاته الإصلاحية، وكان إذ ذاك في الحادية والستين من العمر، ومع ذلك لم نكن نحس بفارق السن ولا بأننا في صحبة فقيه أزهرى، بل كنا نستمتع بمجلسه، إذ كان يبدو فتياً جم النشاط جامعاً بين علوم الدين والفلسفة والعلوم العصرية ملماً بمظاهر الحضارة الغربية مع قدرة على قص النوادر وضرب الأمثلة الطريفة الواقعية.

«في عام ١٩٣٨ التقيت أنا والشيخ طنطاوى في وزارة المعارف وصحبته إلى إدارة البعثات بها، فإنه جاء مستفسراً عن شروط التقدم للحصول على «جائزة نوبل» للسلام، وكان يرى أنه جدير بها لمؤلفاته الكثيرة في هذا المضمار، ولا سيما أن بعضها «أو فقرات منها» قد ترجمت إلى اللغات الأوروبية منها كتابه «أين الإنسان؟» وكان لا يعرف أن الترشيح لهذه الجائزة يتم بالهيئات والجماعات.

«أحيل الشيخ طنطاوى جوهرى إلى المعاش في عام ١٩٣٠ وحول هذا التاريخ أكمل تأليف

تفسيره الجواهر الذى يقع فى ٢٦ جزءاً أو نحو ٦٥٠٠ صفحة كبيرة ، وكان قد أمّ هذا التفسير أولاً فى ١١ جزءاً ثم وقع له حادث أدت فيه الموسيقى دوراً حفزه على التوسع فيه بإضافات شملت مختلف العلوم الطبيعية ويصف نشأة تفكيره فى وضع هذا التفسير وأسلوبه فى التأليف بقوله : « بعد أن قطعت زمان الشباب وحل بساحتى المشيب وأنا أزاول مهنة التعلم فى المدارس وتأليف الكتب ، وجاوزت الستين رأيت شباب نفسى لطلب العلم وحبه لا يزال غضاً طرى الإهاب قويا ، فأخذت أكتب هذا التفسير ، فأكبيت على العمل سنتين كاملتين أو أزيد ، وكنت أكتب فى اليوم نحو ٤٠ أو ٥٠ صفحة ، ومتى كتبت العدد الأول الذى أقرره فى نفسى أقوم للرياضة فى الحقول حول القاهرة وأمشى نحو ٦ كيلو مترات . »

١٧ - الدكتورة بنت الشاطىء : فى كتابها « القرآن والتفسير العصرى » (سلسلة اقرأ رقم ٣٣٥ نوفمبر ١٩٧٠) بالصفحة ٣٩ تقول :

« وقدم الشيخ طنطاوى جوهرى تفسيره (الجواهر) فوجدت فيه الجواهر ما يريحتها من مهانة الإحساس الباهظ بالتخلف . . وأحالت الدكتورة بنت الشاطىء القارئ لمزيد بيان - للرجوع إلى كتاب « إنتاج المستشرقين » لنى بن مالك .

١٨ - عبد العزيز جادو : فى كتابه « الروح والخلود بين العلم والفلسفة » (سلسلة اقرأ رقم ٣٢٦ فبراير ١٩٧٠) تأريخ وتعريف بالشيخ طنطاوى جوهرى وريادته فى الروحية الحديثة .

* * *

هذا ما أمكن العثور عليه من أقوال العلماء والكتاب والباحثين فى مصر عن الشيخ طنطاوى جوهرى ، أما المجالات التى نوهت عنه فكثيرة ، منها : [مجلة الجمعية الآسيوية الفرنسية نشرت فى عددها الصادر فى شهر يناير عام ١٩٠٨ مقالاً طويلاً تشيد فيه بالشيخ طنطاوى وكتابته « نظام العالم والأمم » ولقد نشرنا بعض ما جاء فى هذا المقال فى الفصل الخاص بمؤلفات الشيخ طنطاوى . - ومجلة الجمعية الملكية الإنجليزية : كتبت عنه تقريراً لكتابته « نهضة الأمة وحياتها » فى عددها الصادر فى مارس عام ١٩١٠ ، ولقد فصلنا ذلك أيضاً فى الفصل الخاص بمؤلفاته .

- صحيفة دار العلوم العدد الرابع السنة الخامسة .

- مجلة « الرسالة » العدد ٢٩٨ بتاريخ ٢٠ من مارس ١٩٣٩ السنة السابعة

- جريدتنا البلاغ والأهرام بتاريخ ٣ من ذى الحجة سنة ١٣٥٨ هـ

* * *

ولكى يكون القارئ على بصيرة من الأمر يحسن أن نورد كل ما استطعنا معرفته من أمر أستاذنا

مما وصل عنه من كتب التراجم :

- ١ - خير الدين الزركلي : كتاب « الأعلام » الجزء الثالث الطبعة الثانية (طبعة بيروت) ص ٣٣٣ - ٣٣٤ ، وفيه ترجمة مركزة وثبت بأسماء كتبه .
- ٢ - زكي محمد مجاهد : كتاب « الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية » الجزء الثاني ص ١١٦ - ١١٧ .
- ٣ - إلياس زخورا : كتاب « تقويم مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر مصر » وبه ترجمة مفيدة للشيخ طنطاوى بالجزء الثاني ص ٢٢٥ - ٢٢٨ طبعة القاهرة .
- ٤ - سركيس : موسوعة « معجم المطبوعات »